تاريخ الحركة النقابية الجزائرية أثناء الثورة الاتحاد العام للعمال الجزائريين(1956-1962) أنموذجا .

قيصار نوال . طالبة دكتوراه. جامعة جيلالي –سيدي بلعباس

قد لا نفاجئ أحدا أن العمل النقابي بمفهومه العصري قد عرفه المجتمع ألمغاربي كجزء من الظاهرة الاستعمارية الكلية التي كانت في صورتها المثالية في الجزائر خصوصا، و بالتالي فإن الممارسة النقابية كانت محتكرة قانونا و ممارسة من قبل العنصر الأوربي 1 فقد كان القانون الصادر في 1938/06/24 يعاقب كل عامل اجبني ساعد آو حرض عاملا مغربيا على الانضمام إلى منظمة نقابية ، هذا القانون الذي بقي ساري المفعول لغاية بداية الخمسينات من هذا القرن, و حتى عندما بدأت الحركة النقابية في اجتذاب اهتمام بعض الأوساط العمالية .لا ننسى أننا في مجمعات زراعية و أن العمال لا يكونون إلا أقلية عددية ضعيفة جدا فإن التمثيل النقابي لم يكن مسموحا به للعامل المغاربي حتى 1936 على عهد حكومة الوحدة الشعبية في فرنسا و رغم إنضمام عشرات الالاف من الجزائريين الى النقابة ، فإنهم لم يتمكنوا من وصول بأعداد كثيرة الى إدارة الحركة النقابية ،فإنهم لم يتمكنوا من الوصول بأعداد كثيرة الى إدارة الحركة النقابية ففي عام 1936 كان هناك جزائري واحد من أصل 11 عضو في اللجنة التنفيدية للإتحاد الجهوي" لمدينة الجزائر2، وفي سنة 1938 كانوا تلاثة من مجموع 28 عضو في اللجنة التنفيدية للاتحاد الجهوي لمدينة الجزائر فالذي نستطيع قوله أن الظاهرة النقابية ظاهرة استعمارية، وقام العمال المغاربة الذين عايشوها كتجربة محدودة و يقودنا هذا الحديث الى الاشارة الى الوضع في الجزائر ، فنسبة العمال الجزائريين الى الفرنسيين ضمن الاقتصاد الرأسماالي العصري هي واحد بالمئة ، وذلك حتى الحرب العالمية الاولى، في حين وصلت نسبتهم الى أقل من 10 بالمئة في حدود الثلاثينات من هذا القرن، ولم يصل عددهم الى تلت العمال الفرنسيين الا خلال الحرب العالمية الثانية ، وهي الفترة التي عرفت عملية تصنييع قامت بها فرنسا لتعويض خسائرها خلال الحرب العالمية الثانية من جراء التدمير الناتج عن المعارك في أوربا3 فإذا أضفنا الى كل هذه المعطيات الكمية التي تؤكد محدودية الظاهرة النقابية في المغرب العربي التي تبقي ظاهرة أقية في هذه المجتمعات,كما وصفها احد المتخصصين فى الدراسات النقابية المغاربية,و كان العامل المغاربي يعيش حالة استلاب ضمن الهياكل النقابية و قد يكون الوضع أكثرسوءا بالنسبة للعامل في الجزائر باعتبارها مستعمرة إستطانية، حيث وجد العامل الجزائرى نفسه ضمن الفضاء النقابي الفرنسي أمام اتجاهين يعاديانه, الاتجاه المطلبي الذي كانت إستفادته منه طفيفة و الاتجاه الثاني التسيس و عدم الاعتراف بالمسألة الوطنية التي يوليها هو كل الاولوية .

في هذا الوقت بالذات بدأت الحركة الوطنية تتوسع بقوة لدى الفئات المدنية عن طريق الاحزاب الوطنية و شعاراتها التي كانت تتمحور حول فكرة الحرية و

الاستقلال، فأصبحت النقابة كفضاء إجتماعي، و كممارسة إجتماعية سياسية وكعقيدة، مكانا للصراع من أجل تحقيق داتها افي دولة وطنية ووطنية فرنسية استعمارية تريد الحفاظ على الوضعية الاستعماريةالوطنية المغاربية التي إستفادت بدرجات متفاوتة من القيادات و التجارب التنظميية و المطلبية التي إستطاعت هذه التجربة النقابية الفرنسية انتاجها هذه التجربة التي أثرت كثيرا في التجربة الوطنية النقابية قبل الاستقلال و بعده أثناء بناء الدولة الوطنية4.

ان تحرير الجزائر لن يكون من عمل حزب، بل هو عمل كل الجزائرين 5 إن هذا التصريح، الذي يشكل دعوة لوحدة الشعب الجزائري من أجل الكفاح الثوري تبين ضخامة الالتزام لتحقيق الاستقلال الوطني و قد لب العمال الجزائريين هذا النداء بوضع قواهم الى جانب قوي كل الفئات الاجتماعية ، و التماسا لأهمية النشاطات الجماهيرية في إطار حركة عمالية ضمن القنوات النقابية إلتجأ العمال قبل كل شيء الى الذخول في النظام الذي مكنهم من العمل و النضال لصالح قضيتهم ، المعركة الثورية و التحريرية و الاستقلال، هكذا يصف فرانز فانون 6 التطور النقابي ، إذ يقول في كل البلدان المستعمرة يصل الأمر بالمعارضة أن لا تعتمد أبدا على الجماهير الريفية، بل تعتمد في ذلك على العناصر التقدمية (النقابات،.....)، ولقد أصبحت النقابة في الجزائر كما في كل بلدان الإفريقية إحدى عناصر الكفاح الوطنى، حيث وعت الأحزاب السياسية اهمية الحركة العمالية، التي احتلت مكانة مرموقة فهي جزء لا يتجزأ من الحركة الوطنية، لقد ظل عمالنا و فلاحونا في مقدمة نضال شعبنا ، وكانوا واعيين جيدا أن القضاء على إستغلالهم وبؤسهم ، وتحقيق مطالبهم الاقتصادية و الاجتماعية مرهون بطرد الاستعمار بحد السلاح ، ويعتبر الاتحاد العام للعمال الجزائريين من بين المنظمات التي ساهمت في هذا النضال من أجل القضاء على الاستعمار من خلال أعضاءه المنخرطين.

تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين (أ ع ع ج)

كان على المناضلين الجزائريين النقابيين المنخرطين في مختلف النقابات الفرنسية المتواجدة بالجزائر ان يحددوا مواقفهم و هكذا إنظم البعض مباشرة الى الثورة المسلحة، بينما لم يجد الاخرون انخراطهم داخل النقابة الفرنسية، وقد انتشر انذاك خبر التحضير لانشاء مركزية وطنية مستقبلا ,وفي هذه الظروف وقعت القطيعة مع العمال الجزائرين حيث برزت كل التناقضات الداخلية للنقابات الفرنسية بالجزائر من خلال بلاغتها الصحفية المتباينة ، فالاتحادية الجزائريته للسكك الحديدية التابعة " س.ج.ت" تناهض الحوادث المنعزلة وتعلن من جهتها النقابة الوطنية للمعلمين بأنه بالامكان تطبيق الاصلاحات و توقيف كل الضائعين و تطالب بتسليح الموظفين و النقابين منهم، لكنه خلال نهاية سنة 1954 و بداية سنة 1955 ، تخلى اغلب المناضلين الجزائريين عن النقابات الفرنسية ، وكان الانهيار تدريجيا بعد أن توالت المواقف المعادية للعمال الجزائرين من قبل بعض المسؤولين النقابين.

و في هذه الظروف طالب الاتحاد العام للعمال الجزائرين توقيف نشاط النقابات الفرنسية في الجزائر مما استتبعه تضاربا في الاراء و النقاشات و بعد اجراء العديد من الاتصالات مع الكونفدرليات الدولية ثم تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين في 24 فبراير 1956 و هكذا قدم الاتحاد العام للعمال الجزائريين ملف الانخراط في المنظمة العالمية بتاريخ جوان 1956 و عين قايد مولود و دكار رحمون ممثلا للاتحاد و في جويلية 1956 إنضم الى الكونفدرالية بمساندة الاتحاد التونسي للشغل و الاتحاد المغربي رغم معارضته " س.ج.ت" و الاتحاد النقابي الجزائرى الذي رفض انخراطه فكان ذلك إنتصارا سياسيا كبيرا للمركزية النقابية الجزائرية و لجبهة التحرير الوطنى و في 24/فبراير انشئ الاتحاد العام للعمال الجزائريين طبقا للقانون الفرنسي لسنة 1901المتعلق بالجمعيات و الحريات النقابية طبقا لحماية الحق النقابي و لمبادئ حق التنظيم الجماعي المقترح في اتفاقية 87 الصادرة في فرانسيسكو للسنة 1948 و المعمول به في المنظمة الدولية للشغل. 7

منذ جانفي 1956 و بعد عودة الكونفدرالية العالمية من بروكسل ، كانت ظروف انشاء مركزية وطنية قد انجزت حيث درست جبهة التحرير الوطني كل الظروف التي كانت مناسبة فأعطت اشارة الانطلاق و أوضح بن خدة للنقابيين :" انكم محافضين سياسين من الدرجة الاولى في مجال الكفاح العلني بمهمة رئيسية هي المباشرة العلنية للكفاح" و أصبح " نادي شريف سعدان أول مقرللاتحاد العام للعمال الجزائرين بعد الاجتماعات التمهيدية التي اجريت في بعض المساكن .

و في هذا الظرف كان من الضروري أن تنخرط في المركزية نقابتين على الاقل فاودع كل من فرعي الموانئ و التراموای قانونيهما لكن الحكومة العامة و دار العمالة اعطت الامر للبلدية برفض الايداع الشرعي مما أعقبها اجراءات متضاربة، وقد نصح الاستاذ على بوضجل النقابيين مطابقة النصوص الخاصة بالجمعيات و ثم الاعلان عن انشاء الاتحاد اذ نشر في العدد الاول من صحيفة العامل الجزائري صورة للامانة العامة التي ثم انتخابها بتعليق جاء فيه " في الجمعية العامة التأسيسية ليوم 24 فيبراير 1956.

و بين فبراير و أفريل من نفس السنة تم انشاء فدراليات و نقابات بأعداد كبيرة و لم يتأخر اي فرع في الالتحاق بالاتحاد وتم انشاء المكتب الوطني الدى يضم عيسات إيدير ،بوروية بوعلام و جرمان رابح و اخرون حيث قاموا بزيارات عملية لاهم مدن و نواحي الجزائر لإنشاء نقابات و كانت الظروف مشجعة للغاية وبعدها حدد الاتحاد العام للعمال الجزائريين لنفسه مهمة تنظيم العمال الجزائريين داخل الجزائر لوضع حل للأستغلال الذين هم ضحاياه حيث كان العمال الجزائريون يعانون من وضعية اقتصادية مزرية وكان الاستعمار الفرنسي السبب الرئيسي في هذه الوضعية وبالتالي حدد الاتحاد العام للعمال الجزائريين أهدافه و المتمثلة 8 :

- التعبير عن طموحات العمال الشرعية و اعطاء الكفاح العمالي توجيها مطابقا لأمالها العميقة ، أي ثورة في المجال السياسي الاقتصادي و الاجتماعي ، انها تريد صقل وعى العمال حتى يتمكن لهم النضال ضد المستغلين بدون تمييز يذكر.
- انها تريد القضاء العام على كافة اشكال التمييز العرقي من اجل الدفاع عن الطبقة العاملة، وتوطيد اقامة ديمقراطيته حقيقية على صعيد النقابات .
- توجيه نضال العمال للحصول على ظروف احسن للعمل و الشغل الكامل .
- تحقيق الوحدة العمالية لافريقيا الشمالية وذلك مع نقابتي تونس و المغرب (الاتحاد التونسي للشغل و الاتحاد المغربي للشغل)
- العمل على التعريف بصوت الجزائر على الصعيد الدولي ، وذلك بالانخراط في منظمة دولية بعد مشاورة ديمقراطية في اوساط العمال
- ويعمل التحاد العام للعمال الجزائريين على اخراج الاجراء من الظلمات الى النور ومن الغموض الى الوضوح و الانتظار و التردد الى الاقدام و السير الى الامام.
- تختلف المنظمة النقابية الجديدة عن منظمات (س ج تي) و النقابات الاخرى في جميع الميادين، وخاصة في عدم وجود الوصاية و إختيار القادة، والهيكلة العقلانية ، والتوجيه السليم و التضامن الاخوي في الجزائر و افريقيا وكل العالم.
- كما تتشكل القيادة داخل الاتحاد من وطنيين ذوي درجة عالية من الوعي و الروح الوطنية.
- لقد سطر الاتحاد العام للعمال الجزائريين برامج اقتصادية حيث جاء على لسان عيسات ايدير ان اقتصاد الجزائر هو اقتصاد بلد مستعمر، فالجزائر عبارة عن محزن للمواد الاولية، بالنسبة للبضاعة الفرنسية وسوق لمنتجاتها المصنعة فموادنا تؤخذ بأثمان رخيصة لتعود إلينا بعد تحويلها في شكل مواد مصنعة غير أن تحويل المواد الاولية الجزائرية بداخل الوطن، سوف يسمح بفتح مجال الشغل الى اكثر من مليونين من عمال بلادنا، أما في الزراعة يعمل الاتحاد على تحويل زراعة الكروم الغيرمستهلكة في الجزائر و التي تستحوذ على أحسن الاراضي الجزائرية و بإختصار فإن هدف (أ ع ع ج) في الميدان الاقتصادي يتمثل في تبذيل الاقتصاد الاميريالي بإقتصاد وطني الضامن الوحيد لحل المشكل الحاد لتشغيل و تحقيق أحسن ظروف الحياة للجزائريين.
- إستهدف الاتحاد العام للعمال الجزائريين مند تاسيسه و عانى الامرين و دلك من قبل الحكومة الفرنسية التى رفضت الاعتراف بتمتيله رغم استقطابه الكلى للعمال الجزائريين في اماكن تواجدهم حيث ضم 110.000 عامل في المدن وحدها .
- كما تم توقيف الامانة الوطنية الاولى، مع عيسات ايدير و 150 نقابيا كما جرت مداهمات بوليسية واسعة استهدفت سكنات المناضلين ,واتخدت عدة تدابير عنصرية تجاه الاتحاد العام للعمال الجزائريين ومنعه من تنظيم الاجتماعات في اماكن العمل ، وأمام كل هذه التعسفات كان على الاتحاد ان يلعب دوره على

المستوى الدولي في التعريف بالنقابة الجزائرية في نضالاتها وتضحياتها وامالها ومن اجل مساندة الكفاح التحريري الوطني. وعليه لا بد من تكسير و افشال الخناق الفرنسي ، ولم يتخلف الاتحاد عن مساندة الحركة الكبرى التي تعرفها البلاد متكيفا مع أوامر جبهة التحرير الوطني.

ولكن هذه التحديات دفع ثمنها الكثير من العمال الجزائريين و على رأسهم عيسات إيدير الذي ألقي عليه القبض وتعريض حياته للخطر حيث ذهب عيسات إيدير ضحية الاضطهاد الاستعماري الذي حكم عليه بالاعدام وتم نقله الى المستشفى العسكري بالجزائر حيث إستشهد هناك نتيجة التعذيب الوحشي بتاريخ 26 جويلية 9.1959

وبعد عرض هذه اللمحة الموجزة عن التاريخ الحركة النقابية في الجزائر بما فيها الاتحاد العام للعمال الجزائريين ونظالاته من اجل القضية الوطنية ، يمكن طرح السؤال التالي قد تكون الاجابة عنه منطلقا لبحوث أخرى: **هل استمر الاتحاد العام للعمال الجزائريين في اداء وضائفه بعد إستقلال الجزائر و أثناء فترة البناء الوطني بنفس المبدأ و الوتيره ونفس الاهداف التي كان يعمل على تحقيقها قبل الاستقلال؟.**

الاحـــالات :

1- Claude Liauzu , Militants Grévistes et syndicates ,etude du movement ouvrier Magrébin ;(France: centre de Mediterranean Moderne ; 1979,P11

2- Fouad ben seddik , le mouvement ouvrier marocaine face a l'interdit syndicat , durant la période coloniale

3- مقالات صدرت عن مكتب العمل العربي بالجزائر ، المعهد العربي للثقافة العمالية و بحوث عمل تحت عنوان

Mouvement ouvrier magrébin pendant le période colonial 1991

4- سعيد بن سعيد العلوى و أخرون ، المجتمع المدنى و دوره في تحقيق الديمقراطية ، بحوث و المنقاشات الندوة الفكرية التي نضمها مركز الدراسات الوحدة العربية ، ط1992،1 ، ص 475.

5- Aniss bouayad,A propos de l'émigration algerienne en France les relations C G T .M T L D dans les année Cinquante ,dans le mouvement ouvrier magrébin pendant la période colonial ,P25

6- جريدة المجاهد، العدد الثالث، صيف 1956.

7- اللسان المركزي للاتحاد ع غ ج ، من تاريخ الحركة النقابية الجزائرية ، دراسات و بحوث و شهادات تاريخية ، ط 1، 1989 الجزائر ص 127.

8- المرجع نفسه ص 128-129.

9- نفس المرجع ، ص 141-142

10- قدم هذا العرض في الندوة المخصصة لتاريخ الحركة النقابية الجزائرية ، وتأسيس الاتحاد ع ع ج، المنعقد يومي 22-23 فيفري 1986 ب القصر القنصلي الغرفة التجارية العاصمة .